

سور الحواميم السبع دراسة تحليلية فنية

أطروحة تقدم بها

طالب عويد نايف الشمري

إلى مجلس كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه

فلسفة في اللغة العربية وآدابها / أدب

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

عبد الرحمن شهاب أحمد

٢٠٠٥م

١٤٢٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين الذي لا يخفى عليه شيء ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة ... أما بعد :

فقد خاطب الله البشرية جمعاء بكتاب عظيم لم تعرف العربية خطاباً أعمق منه بلاغة ، وأعذب منه إيقاعاً ، وأفقه منه عبراً ، داعب النفوس بنسيمه ، وشغل العقول بحكمه ، أنيق اللغة عذب الإيقاع ، رائع النظم والبيان ، فجلى غشاوة الجهل عن الأبصار .

والبحث في القرآن الكريم يعد خطوة مباركة لاتخلو من صعوبة ، لايشعر بها إلا من أراد دراسة كتاب الله تعالى ؛ لأنه كتاب انتهت إليه البلاغة والفصاحة ، كتاب راعى الله به اللغة العربية ولهجاتها ، والناس وأحوالهم ، والتشريع وأصوله ، والعبادات ومتعلقاتها ، فكان للحرف فيه وقع وحكمة ، وللنظم روابط ربانية ، وللآيات أحكام ، وللصور مقتضيات واسعة ، فجاء اعجازه متعدد المناحي والمشارب لا تستطيع أية دراسة أو مجموعة باحثين مهما حاولت الوصول إلى نهاية لهذا الإعجاز لكونه ارتفع عن حدود البشرية ليمثل كلامه سبحانه الذي حوى بين دفتيه كل ما تحتاج إليه البشرية على امتداد الزمان وتنوع متطلبات الحياة .

وإن المرء ليقف إجلالاً وإكباراً أمام جهود جمهرة من العلماء الذين وضعوا نتاج عبقريتهم لخدمة لغة الوحي ، فكتبوا في تفسيره ، وتفننوا في معرفة المحكم والمتشابه في كلامه ، وبرعوا في عرض وجوه اعجازه ، لأنه مائدة الخالق في أرضه لعباده ، والمعين الذي لاينضب نميره .

وانطلاقاً من مبدأ القرآن الكريم في الحث على تدبر الآيات في مواضع عدة هممت نفسي أن الج هذا الدرس مذ عرفت أصول البحث والدرس للوقوف على جانب من جوانب الإعجاز القرآني ، فجاءت هذه الدراسة الموسومة بـ(سور الحواميم السبع - دراسة تحليلية فنية) لتسلط الضوء على هذه السور

المميزة التي قال عنها رسول الله ﷺ : ((لكل شيء ثمرة وإنّ ثمرة القرآن ذوات حم ، هنّ روضات حسان مخصّبات متجاورات فمن أحبّ أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم))^(١) مما يدل على خصوصية معينة لها كما أن للثمرة خصوصيتها ، ويكشف لنا عن أهمية هذه السورة بين بقية السور القرآنية وموقعها المتميز في القرآن كما أكدّه الرسول الأعظم ﷺ في قوله : ((مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب))^(٢) ، ونتيجة هذه المكانة المتميزة التي حباها الله بها فضلاً عن ترابطها من الناحية الموضوعية فجميعها تناولت أصول العقيدة من التوحيد والنبوة والمعاد وغيرها وإعطائها التصور الإسلامي المتكامل عن تلك الأصول ، وتشابهها الكبير من الناحية الأسلوبية والبنائية الذي باينت فيه أسلوب السور المكية لتقترب من الأسلوب المدني في طول عباراتها وهدوء ألفاظها إلا في بعض المواضع فضلاً عن أن جميعها مكية النزول ومتسلسلة في المصحف (٤٠-٤٦ غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف) بحسب نزولها على الرسول الأعظم ﷺ وكانت لا تنزل سورة إلا بعد انتهاء السورة التي تسبقها على غير المألوف من نزول بقية آيات القرآن الكريم ، مع تشابه أوائلها لتشكل ظاهرة تستدعي الوقوف عندها .

وقد اتخذت الدراسة منهجاً تحليلياً فنياً انتقائياً رأته كفيلاً بالكشف عن جماليات هذه السور وخصوصيتها، مستفيدة من الدراسات السابقة في هذا المجال فضلاً عن كتب التفسير والبلاغة والنقد ، وكتب الإعجاز القرآني وغيرها ، فجاءت الدراسة مقسّمة على أربعة فصول مسبقة بمقدمة وتمهيد ، وملحقة بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث .

تناول التمهيد اتجاهات التفسير (الموضوعي والتجزئي) وبين ميزات كل منهما وعيوبهما محاولاً الوصول إلى اتخاذ منهج وسط يكون البديل عنهما ، وموضحاً أسباب ذلك الاختيار .

(١) تفسير القرطبي ١٥-١٦/١٨٩ ، وينظر : البحر المحيط ٧/٤٤٦ .

(٢) مجموعة التفاسير ٥/٣٣٦ .

وانطلاقاً من أن لكل شكل من اشكال التعبير مضموناً خص الفصل الأول ببيان البعد الموضوعي والفكري للحواميم ، فجاء على أربعة مباحث ، خُصص (الأول) : لدراسة التوحيد وحقيقته من توحيد الذات أو الصفات أو التوحيد في الخالقية والربوبية مستدلاً على ذلك كله بظواهر الحياة والكون ، ومخاطبة العقل والفترة البشرية لإثبات هذه العقيدة ، وجاء (الثاني): لدراسة عقيدة النبوة والوحي والشبهات التي أثيرت حولها مناقشاً فكرة بشرية الرسل وأهمية ذلك لإعطاء الواقع العملي التطبيقي للرسالة ، وتناول (الثالث): دراسة المعاد والعدل الإلهي مستدلاً على وقوعه بطرائق عدة ، منها الطريقة العقلية والطريقة الحسية ، وإمكانية ذلك في القدرة الإلهية مبيناً معنى العدل الإلهي وحقيقته ، وأن الاعتقاد به يوجب الاعتقاد بحقيقة المعاد ، فيما جاء (الرابع): لدراسة البعد الوعظي والإرشادي في الحواميم .

وتناول الفصل الثاني الأساليب والمعاني التي حاولت الآيات عن طريقها إيصال أفكارها فجاء على مباحث ثلاثة، اختص (الأول): بدراسة أسلوب السخرية والتهمك ، من سخرية ذهنية ، وسخرية عن طريق الرسم بالكلمات ، وسخرية عن طريق التضاد ، وجاء (الثاني): لدراسة أسلوب الجدل والاحتجاج بنوعيه الإيجابي والسلبى ، وجاء (الثالث): لدراسة آيات التسلية التي شاعت في الحواميم مميّزاً بين الآيات التي سيقت لتسلية النبي ﷺ ، والآيات التي سيقت لتسلية المؤمنين .

وجاء الفصل الثالث لدراسة دلالة الإفراد والتركيب وبيان دلالات الألفاظ مستفيداً من معطيات الدرس السامي في الوصول إلى فهم جديد للألفاظ ، فقسم على أربعة مباحث ، اختص (الأول): ببيان دلالة الألفاظ المطلقة ، أو ما يعرف بـ(الاتساع النصي) وانفتاح النص على فضاءات واسعة من المعاني ، و(الثاني): لدراسة الدلالة الفنية وخصوصية استخدام الألفاظ وجمالية استعمالها ، في حين تناول الثالث دراسة الدلالة النفسية والأثر الذي تتركه الألفاظ داخل النفس وكذلك ما ترسمه من صور نفسية مؤثرة ، وخصص (الثالث): لدراسة الدلالة الإيحائية التي تميزت بها الألفاظ والإشارات العلمية التي تحويها .

واختص الفصل (الرابع): بدراسة الصورة الفنية ، فضم خمسة مباحث ، عُني (الأول): بدراسة الصورة التشبيهية وما يميزها في الاستخدام القرآني ، و(الثاني):

لدراسة الصورة الاستعارية وأهميتها في التعبير مركزاً على أثر التشخيص في إغناء الصورة ، و(الثالث): لدراسة الصورة الكنائية لأنها تمثل لوناً من ألوان التخفي الجميل في التعبير ، وخصّص (الرابع): لدراسة الصورة الكلية وأهميتها في إغناء المعنى ، بينما تناول (الخامس): دراسة المشهد وأهميته وأبعاده في التعبير القرآني .

وأخيراً فإن من الواجب أن نتوجه بالشكر إلى كل من ساعد في إنجاز هذه الدراسة ولا سيما أستاذي المشرف الدكتور عبد الرحمن شهاب أحمد الذي كان الأستاذ والأخ والصديق ، وأستاذي المرحوم الدكتور حسن يحيى الخفاجي تغمده الله في فسيح جناته ، فقد كان الأخ والصديق والأستاذ الذي يفيض علماً وخلقاً ، وأشكر كذلك كل أساتذتي في قسم اللغة العربية وأخص منهم الأستاذ الدكتور عبد الله الجبوري والأستاذ الدكتور خالد علي مصطفى ، ولا أنسى أخوة أعزاء وأساتذة أفاضل (جاسم خلف ، وحسام قدوري ، وعلي حسن عبد الحسين ، وفليح خضير شني) ولا أنسى زملاء الدرب .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما تجشموه من عناء في تصحيح وتدقيق ما جاء في هذه الدراسة فجزاهم الله عني خير الجزاء . وفي الختام : أقول إن هذه محاولة جادة توخيت فيها خدمة الكتاب العزيز ونيل مرضاة الله ﷻ ، فإن وفقت فتلك من نعم الله المتتابعة عليّ وأن كنت شططت فتلك زلة يغفرها الله لي برحمته الواسعة وتصححها أقلام أساتذتي الأفاضل وملاحظاتهم السديدة .

والله من وراء القصد